

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَآسَمُ تُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران: 102] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: 70، 71] .

أما بعد؛

فهذا الكتاب يتحدث عن شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعصره، وهو امتداد لما سبقه من كتب تحدثت عن الصديق والفاروق، تبحث في دراسة عهد الخلفاء الراشدين لكي نستخرج الدروس والعبر، ونستوعب السنن والقوانين الإلهية في حركة المجتمعات، وبناء الدول، ونهضة الشعوب، وتربية القادة، والأفراد العاملين لنشر دين الله بين الناس.

إن عودة الأمة لما كانت عليه في قيادتها للبشرية منوطة بسيرها على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، فقد أخبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عن المراحل التاريخية التي تمر بها الأمة في مسيرتها في الحياة، فقال صلى الله عليه وسلم: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»<sup>(1)</sup>.

(1) المسند (4/ 273)؛ البرار رقم (1588) رجاله ثقات.



أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها فعصرهم خير العصور، فهم الذين علّموا الأمة القرآن الكريم، ورووا السنن والآثار عن رسول الله ﷺ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في: الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح، وهدى رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس.

إن التاريخ الإسلامي أصبح غرضاً ومرمى لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم وعقائدهم، ويحاولون أن يوجدوا فجوة في الإسلام وتاريخه الزاهر، حتى يتسنى لهم عزل الأجيال عن الإسلام وعقيدته وشريعته وقيمه وتراثه العلمي، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنتف السموم في المجتمع الإسلامي.

لقد حاول المستشرقون على مختلف مشاربهم أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة والسيادة والنفوذ، ولذلك يجب الحذر من كل مؤرخ كاذب، وممشرق حاقد، وعلماني جاهل، وكل من سار على نهجهم، ولا بد من الدفاع الممتيت عن تاريخنا الخالد والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة والأدلة القاطعة والبراهين الدامغة.

إن صياغة التاريخ الإسلامي بمنهج أهل السنة والجماعة ضرورة ملحة لأبناء الأمة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتّاب تصوغ التاريخ من هذا المنظور، وهم لم يبدأوا من فراغ، لأن الله حمى دينه وحمى أمة الإسلام فقيّض لتاريخ الصحابة من يحقق وقائعه ويصحح أخباره، ويكشف الستر عن الوضّاعين والكذابين من ملفقي الأخبار ويرجع الفضل في ذلك الجهد العظيم إلى الله ثم أهل السنة والجماعة من أئمة الفقهاء والمحدثين الذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات والروايات الصحيحة التي تنقض وترد كل ما وضعه الملفقون<sup>(1)</sup>.

(1) المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، د. محمد محزون، ص(4).

هذا وقد سرت على أصول منهج أهل السنة، فعكفت على المصادر والمراجع القديمة والحديثة، ولم أعتد في دراسة عصر الخلفاء الراشدين على الطبري وابن الأثير والذهبي وكتب التاريخ المشهورة فقط؛ بل رجعت إلى كتب التفسير، والحديث وشروحاتها، وكتب العقائد والفِرَق، وكتب التراجم والجرح والتعديل، وكتب الفقه، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة، وقد شرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وأصدقها حياة عثمان»<sup>(1)</sup>. وقال فيه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بعد تقديمه النفقة العظيمة: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»<sup>(2)</sup>، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه<sup>(3)</sup>، وحثَّ الناس عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان وأصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إني سمعت رسول الله ﷺ: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو اختلافاً وفتنة» فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه» وهو يشير إلى عثمان»<sup>(4)</sup>.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ لا يعدلون بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم<sup>(5)</sup>. وقد قال فيه الشاعر التميمي:

عشية بدخلون بغير إذن      على متوكل أوفس وطابا  
خليل محمد ووزير صدقي      ورابع خير من وطىء الترابا<sup>(6)</sup>

(1) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (1/ 604) إسناده صحيح.

(2) سنن الترمذي رقم (3785).

(3) البخاري رقم (3695).

(4) فضائل الصحابة (1/ 550) إسناده صحيح.

(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (3698).

(6) البداية والنهاية (7/ 206).

وقال فيه أبو محمد القحطاني :

لَمَّا قَضَى صَدِيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ  
أَعْنَى بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عُنُودَهُ  
هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ  
وَمَضَى وَخَلَّى الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ  
مَنْ كَانَ يَمُهِرُ لَيْلَةً فِي رُكْعَةٍ  
دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الثَّانِي  
بِالْيَقِيفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ  
وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكَتْمَانِ  
فِي الْأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عَثْمَانَ  
وَتَرَأَى فَيَكْمُلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ

إلى أن قال :

والويل للركب الذين سعوا إلى عثمان فاجتمعوا على العصيان<sup>(1)</sup>

إن حياة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وقد قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره، وقيمت بشرتها وتوثيقها وتحليلها لكي تصبح في متناول أبناء أمتي على مختلف طبقاتهم من علماء ودعاة وخطباء، وساسة ومفكرين، وقادة جيوش، وحكام، وطلاب علم، وعامة الناس، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن اسم ذي النورين ونسبه وكنيته وألقابه وأسرتة ومكانته في الجاهلية، وإسلامه، وزواجه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتلائه وهجرته للحبشة، وعن حياته مع القرآن الكريم، وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم، وعن مواقفه في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن حياته الاجتماعية بالمدينة، ومساهمته الاقتصادية في بناء الدولة، وتتبع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي النورين فيما ورد في فضائله مع غيره، وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخباره عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان، وتكلمت عن مكانته في عهد الصديق والفاروق، وبيّنت قصة استخلافه، وما قام به عبد الرحمن بن عوف من عمل عظيم في إشرافه على إدارة الشورى، ورددت على الأباطيل الراضية التي دست في قصة الشورى، فأثبتت بطلانها وزيفها بالحجج العلمية والبراهين القوية والأدلة المنطقية، وذكرت أقوال أهل العلم في أحقية عثمان بالخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته، وشرحت منهج عثمان رضي الله عنه في نظام الحكم من خلال رسائله للولادة وأمراء

(1) نونية القحطاني، ص(21 - 25).

الجند وعامة الناس، ومواقفه في الحياة، فقد وضع ﷺ المرجعية العليا للدولة، وحق الأمة في محاكمة الخليفة، وقواعد الشورى والعدل والمساواة والحريات، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة المجتمعات.

وقد أشرت إلى أهم صفات عثمان رضي الله عنه القيادية وذكرت تسع عشرة صفة من صفاته مع المواقف الدالة على تلك الصفات الرفيعة، والأخلاق الحميدة، وتحدثت عن المؤسسة المالية فبيّنت معالم السياسة المالية التي أعلنها عثمان عندما تولى الحكم، وأنواع النفقات العامة في عهده، كصرف مرتبات الولاة، والجنرد، والإنفاق على الحج، وتمويل إعادة المسجد النبوي، وتوسعة المسجد الحرام، وإنشاء أول أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعبية إلى جدة، وتمويل حفر الآبار، ورواتب المؤذنين، وأشرت إلى أثر تدفق الأموال على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان وأقاربه والعطاء من بيت المال، وتكلمت عن مؤسسة القضاء وبعض الاجتهادات الفقهية لعثمان والتي أثرت في المدارس الفقهية فيما بعد، وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التاريخ، وقيمت بترتيبها وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق وبلاد الشام، وفي الجبهة المصرية، والشمال الإفريقي، واستخرجت من حركة الفتوح دروساً وعبراً وفوائد، كتحقق وعد الله للمؤمنين، وتطور فنون الحرب والسياسة، والاهتمام بحدود الدولة والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو، وجمع المعلومات على الأعداء، وترجمت لبعض قادة الفتح، كالأحنف بن قيس، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وسلمان بن ربيعة، وجيب بن مسلمة الفهري رضي الله عنه.

وأشدت بأعظم مفاخر عثمان في توحيد الأمة على قراءة المصحف العثماني، ووضحت المراحل التي مرت بها كتابة القرآن الكريم، وتحدثت عن الباعث على جمع القرآن في عهده، واستشارته لجمهور الصحابة، وعن عدد المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار، وفهم الصحابة لآيات النهي عن الاختلاف، وعن مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده، وسياسته مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم، وأساليبه في متابعة ولاته ومراقبتهم والاطلاع على أخبارهم، وبيّنت حقيقة ولاية عثمان رضي الله عنه وماذا لهم وماذا عليهم، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذر، وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعاً، وفصلت في أسباب فتنة مقتل عثمان وأهمية دراسة وقائع هذه الفتنة، وتحدثت عن كل

سبب من الأسباب في فقرة مستقلة، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنه، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصية الجاهلية، وتوقف الفتوحات، والورع الجاهلي، وطموح الطامحين، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد الخليفة الراشد المظلوم، واستخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، وعن أثر السبئية في أحداث الفتنة والخطوات التي اتخذها عثمان رضي الله عنه لمعالجتها، كإرسال لجان تحقيق وتفتيش، وإرساله لكل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين، ومشورته لولاة الأمصار وإقامة الحججة على المتمردين، والاستجابة لبعض مطالبهم، وبيئت ضوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان رضي الله عنه، كالتثبت، ولزوم العدل والإنصاف، والحلم والأناة، والحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرق، ولزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، واستشارة العلماء الربانيين، والاسترشاد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن، ووصفت احتلال أهل الفتنة للمدينة، وحصارهم لعثمان ودفاع الصحابة عنه ورفضه لذلك، وذكرت مواقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنه وما ورد من أقوالهم في الفتنة.

إنَّ هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النورين، ويثبت للقارئ الكريم بأنه كان عظيماً بإيمانه وبعلمه وبخُلُقِه وبآثاره، وكانت عظمتُه مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام، وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

إن عثمان رضي الله عنه من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدعٍ عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنه طيب الأسماء، وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب الساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ 8 من شهر ربيع الثاني لعام 1423 هـ الموافق 2002/6/18م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبتُه ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل

مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19] .

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه  
علي محمد محمد الصلابي